ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

جُهودُ الْعُلَمَاءِ فِي مُوَاجهَةِ جَمَاعَةِ الدَّهْرِيَّةِ
الإِمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ نَمُوْذجًا (١٠٥ – ١٥٨هـ/ ٧٢٤ – ٧٧٥م)

د. مَحْمُود مُحَمَّد السَّيِّد خَلَفِ
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المساعد
كلية الدراسات الإسلامية – الجامعة الإسلامية
ولاية مينيسوتا – الولايات المتحدة الأمريكية

مُلَخّصْ

هذا البحث يدور حول جهود بعض علماء المسلمين في مواجهة الأفكار الهدامة التي ظهرت في أواخر عصر الدولة الأموية وأوائل عصر الدولة العباسية [١٠٥ ــ ١٥٨هـ/ ٧٢٤ ــ ٧٧٥م]، والتي كان من أشهرها ما عُرِف تاريخيًا باسم جماعة الدَّهْرِيَّةِ؛ وهي مجموعة من الناس كان لها اعتقاد فكري ظهر في فترة ما قبل الإسلام، ويشتقّ المصطلح من الدَّهْرِ لاعتباره (الزمان/ الدَّهْرُ) السبب الأول للوجود. وقد رد عليهم القرآن الكريم في كثير من آياته، كما حذر الرسول ﷺ منهم في بعض أحاديثه. وقد دارت بينهم وبين علماء المسلمين كثير من المناظرات، استخدم العلماء خلالها سلاح العقل والمنطق؛ وكان من أشهرهم؛ الْجَهْمِ بْنَ صَفْوَان [٧٨ ــ ١٢٨ هـ/ ٦٩٦ ــ ٧٤٦م] زعيم فرقة الْجَهْمِيَّةِ، وَوَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ [٨٠ ــ ١٣١هـ / ٦٩٩ ــ ٧٤٨م] مؤسس فرقة الْمُعْتَزِلَةِ، والإِمَام أَبو حَنِيْفَةَ النُّعْمَان [٨٠ – ١٥٠ هـ/ ٦٩٩ – ٧٦٧ م] صاحب المذهب الحنفي وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السُنَّة. وإن كان الأخير هو أكثرهم جهدًا في ذلك، لذا فقد اتخذته نموذجًا.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	١٦	أكتوبر	٢٠١٦
تاريخ قبـول النشـر:	١٤	فبراير	٢٠١٧

كلمات مفتاحية:
الدهريّة، الزّنادقة، المُلحِدين، علماء المسلمين، الإمام أبي حنيفة

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0053266

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
محمود محمد السيد خلف. "جُهودُ الْعُلَمَاءِ فِي مُوَاجهَةِ جَمَاعَةِ الدَّهْرِيَّةِ: الإِمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ نَمُوْذجًا (١٠٥ - ١٥٨هـ/ ٧٢٤ - ٧٧٥م)".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الواحد والأربعون؛ سبتمبر ٢٠١٨. ص٣٧-٤٥.

مُقَدِّمَةٌ

لا شك أن علم العقيدة الإسلامية هو العلم الأساسي الذي تجدر العناية به تعلمًا وتعليمًا وعملًا بموجبه، لتكون الأعمال صحيحة مقبولة عند الله تعالى نافعة للعاملين، خصوصًا وأننا في زمان كثرت فيه التيارات المنحرفة، وبخاصة تيار الإِلْحَادِ، لذا يجب على المسلم أن يكون متسلحًا بسلاح العقيدة الصحيحة المرتكزة على القرآن الكريم والسُنَّة المُطَهَّرة وما عليه سلف الأمة الصالح. إن الدَّهْرِيَّةَ: هي اعتقاد فكري ظهر في فترة ما قبل الإسلام أو الجاهلية، ويشتقّ المصطلح من الدَّهْرِ لاعتباره الزمان أو الدَّهْر السبب الأول للوجود، وأنّه غير مخلوق ولا نهائي.

وتعتبر الدَّهْرِيَّةُ أن المادّة لا فناء لها، ويُعدُ هذا الاعتقاد قريبًا من اعتقاد اللادينيّة والإِلْحَادِ والمَادِيّة.

إن نسبة المُلْحِدِيْنَ في العالم ـ وفقًا لإحصائية معهد بيو بمدينة واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية (Pew Research center) لعام ٢٠١٠م ـ وصلت أعدادهم إلى حوالي ١,١ مليار نسمة (١٦,٣%)، أي ثالث أكبر المعتقدات الدينية بعد المسيحية والإسلام. ويشكلون ٢١,٢% من مجمل سكان القارة الآسيوية، و١٨,٢% في أوروبا، و١٧,١% من مجمل سكان قارة أمريكا الشمالية. لذا، فإننا نحن المسلمين في حاجة ماسة لإعادة النظر فيما نُجريه من حوار ومناقشة مع الآخر. نحاول أن نستخدم معه أسلوب المناقشة العقلية، في هدوء وطول بال؛ كي

نصل في النهاية إلى ما نرجوه، وهو إنقاذ الناس من شرك الضلال والغواية إلى سُبل الرشاد والهداية.

أعلم أن المهمة شاقة والطريق طويل، ولكن لنا سلف صالح، استطاعوا عن طريق الحوار والمناقشة أن يصلوا لأفضل النتائج المرجوة في زمانهم. وهذا البحث يلقي مزيدًا من الضوء على جهود بعض الأئمة الأعلام الذين حازوا قصب السبق في هذا المجال، من أمثال: الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَان، وواصِل بن عَطَاءٍ، والإمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ. وذلك في خلال الفترة الممتدة من أواخر عصر الدولة الأموية وحتى أوائل عصر الدولة العباسية (١٠٥ ـ ١٥٨هـ/ ٧٢٤ ــ ٧٧٥م)، وبالتحديد من فترة حكم الخليفة الأموي هِشَام بْن عَبْدِ الْمَلِكِ (١٠٥ -١٢٥هـ / ٧٢٤-٧٤٣م)، حتى حكم الخليفة العباسي أَبِي جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ (١٣٦ ــ ١٥٨ هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥ م). وذلك لأن هذه الفترة تُعَدّ من أكثر الفترات التي تعرضت فيها الأمة الإسلامية للاضطرابات الداخلية نتيجة الخلافات السياسية، ومن ثم فقد استغل أعداء الإسلام هذه الفرصة فاندفعوا يعلنون ـ في المجتمع الإسلامي ـ آراءهم الهدامة وأفكارهم الشاذة بكل شجاعة وصراحة، ويأتي في مقدمة هؤلاء جماعة الدَّهْرِيَّة. فصار لزامًا على علماء الأمة الإسلامية أن يتصدوا لمثل هذه الأفكار، ومن ثم فقد وقعت المناظرات بين الجانبين، حتى كانت الغلبة في النهاية لعلماء المسلمين.

أولاً: نَبْذَةٌ عَنْ تَارِيْخِ الدَّهْرِيَّةِ[١]

الدَّهْرِيَّةُ: هم الذين يقولون بقدم الدَّهْرِ[٢]. وهي فرقة لا تؤمن بالله تعالى ولا تعرف إلا الدَّهْرَ، الذي هو مر الزمان واختلاف الليل والنهار، اللذان هما محل للحوادث وطرف لمساقط الأقدار، فتنسب المكاره إليه على أنها من فعله، ولا ترى أن لهما مدبرًا ومصرفًا غيره[٣]. وهم يقولون ـ أيضًا ـ بنكران البعث والآخرة، والخالق والرسل، وينسبون كل شيء إلى فعل الدَّهْرِ، أي الأبدية مع التأثير في حياة الإنسان وفي العالم[٤]. أو هم بعبارة الإمام الغَزَالِيّ (٤٥٠ -٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ -١١١١م): "فرقة قد رأوا العالم قديمًا كما هو عليه ولم يثبتوا له صانعًا"[٥]. إن الفلسفة الدَّهْرِيَّة المادية هي تلك التي لا تؤمن إلا بالمحسوس الذي تدركه المشاعر والحواس. ولقد عَرفت منطقة السند ببلاد الهند[٦] قبل الإسلام وإبان ظهوره مذهب السَّمْنِيَّة ؛ وهم دهْرِيون لا يؤمنون بوجود ما وراء المشاعر والحواس... ويقولون: لا طريق للعلم سوى الحس[٧]!..

وقد حكى القرآن الكريم قولهم ذلك، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية : آية ٢٤]، وجاء في الحديث: عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله: قَالَ اللَّهُ: "يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ"[٨]. وفي رواية: "لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ"[٩]. وفي رواية:" لَا يَقُلِ ابْنُ آدَمَ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُرْسِلُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا"[١٠]. قال صاحب التمهيد: "ومعناه أن العرب كانت من شأنها ذم الدَّهْرِ وسبه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدَّهْرِ، وأبادهم الدَّهْرُ، فإذا أضافوا إلى الدَّهْرِ ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبها إلى الله، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها، فنُهوا عن سب الدَّهْرِ"[١١].

وقد ذكر كثير من علمائنا أفكار ومبادئ هذه الفرقة، ويأتي في مقدمتهم الإمام الشَّهْرَسْتَانِي (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ / ١٠٨٦ - ١١٥٣م) والذي سماهم بـ "مُعَطِّلَةِ الْعَرَبَ"، وقال: إن بينهم ثلاث مجموعات: مجموعة تنكر الخالق والبعث، ومجموعة تقرّ بالخالق وتنكر البعث، ومجموعة تقرّ بالخالق والخلق الأول وتنكر الرسل[١٢]. وقد رد القرآن الكريم عليهم في كثير من آياته، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤]. وقال: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]. فأثبت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق وأنه قادر على الكمال ابتداء وإعادة.[١٣]

كما رد عليهم كثير من علمائنا، أكتفي بشهادة أحدهم؛ وهو: العلامة ابن الجَوْزي (٥٠٨ - ٥٩٧هـ/ ١١١٤ - ١٢٠١م)، حين قال: " قد أوهم إبليس خَلْقًا كثيرًا أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون، وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس ولم يستعملوا في معرفته العقل، جحدوه. وهل يشك ذو عقل في وجود صانع؟!! فَإِن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان، ثم عاد فرأى حائطًا مبنيًا. علم أنه لا بد لَهُ من بانٍ بناه. فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة، والقوانين الجارية عَلَى وجه الحكمة، أما تدل عَلَى صانع!!"[١٤].

هذا، وبعد أن أعز الله تعالى العالم بالإسلام، وانساح المسلمون في الأرض ينشرون دين الله تعالى، وأخذ هذا النور ينتشر في جنبات الكرة الأرضية، وفتح الله تعالى قلوب البلاد والعباد لهذا الدين الجديد. ظهرت طائفة تحارب هذا الدين؛ وهذه الطائفة تُعرف بالزَّنَادِقَة. وَالزَّنْدَقَةُ: كلمة مُعَربة، ذكر علماء اللغة أنها أخذت من الفارسية(١٥)، أريد بها في الأصل الخارجون والمنشقون على تعاليم دينهم، فهي في معنى "هرطقة". وقد صار لها في العهدين: الأموي والعباسي مدلول خاص، حيث قصد بها " الْمَوَالِي الحُمر"، الذين تجمعوا في الكوفة(١٦)، وكانوا يظهرون الإسلام ويبطنون تعاليم المجوسية والإلْحَاد. وإذا كان الزِّنْدِيْقُ هو القائل ببقاء الدَّهْرِ، وبعدم وجود عالم ثانٍ بعد الموت، فتكون الزَّنْدَقَةُ/ الدَّهْرِيَّةُ، ويكون الزِّنْدِيْق/ الدَّهْرِي لقوله بالدَّهْرِ وبأبدية الكون والمادة. وَالزَّنْدَقَةُ بهذا المعنى قريبة من رأي القائلين بالدَّهْرِ(١٧).

أما عن أسباب ظهور وانتشار الدَّهْرِيَّة خلال تلك الفترة، فإن ذلك يرجع لعوامل عديدة من أهمها:

أولًا: أن الزَّنْدَقَةَ/ الدَّهْرِيَّة إنما تقترن ــ عادة ــ بالبحث العلمي، وهو في العصر العباسي أَبْيَنَ وأَظْهَرَ منه في العصر الأموي. ذلك أن الحركة العلمية خلال العصر الأخير كانت مهتمة بالعلم الديني من تفسير وحديث وفقه ... إلخ، أما علوم الفلسفة والكلام والجدل ـــ وإن ظهرت في أواخر الدولة الأموية ــ إلا أنها لَمْ تُؤتِ ثمارها إلا في العصر العباسي، والذي قامت فيه حركة الترجمة على نطاق واسع، ومن ثم فقد اطلع علماء المسلمين على أفكار الديانات الأخرى وأرادوا أن يستخدموا نفس سلاح أعدائهم، فكان عليهم أن يستخدموا المنطق والتفكير والحجج العقلية في حوارهم مع الآخر.

ثانيًا: أن بعض الفرس رأوا أن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يُحَقق مطالبهم في عودة الخلافة الفارسية مرة ثانية. وعلموا أن ذلك لا يتحقق والإسلام ظاهر على الديانات الأخرى، فأخذوا يعملون على نشر أفكارهم الهدامة خفية بين الناس.

ثالثًا: أن الدولة الأموية كانت دولة عربية، والعرب لا تعرف الزَّنْدَقَةَ كثيرًا ولا تميل إليها. فلما قامت الدولة العباسية على يد الفرس وغلبوا على العرب، وكانت لهم ديانات سابقة لم ينسَوْها عندما اعتنقوا الإسلام، وكانوا لا يجرؤون على الجهر بها في ظل الدولة الأموية. فلما سقطت الأخيرة وقامت الدولة العباسية بدأت تلعب في رءوسهم الديانات القديمة وبدأت تنتشر بين كثير منهم الأفكار الهدامة، فصار على علماء المسلمين التصدي لمثل هذه الأفكار(١٨).

ثانيًا: مُنَاظَرَةُ الْجَهْم بْن صَفْوَانَ ووَاصِل بن عَطَاءٍ مَعَ الدَّهْرِيَّةِ

إن فترة حكم الخليفة الأموي هِشَام بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م)، قد شهدت مناظرات كثيرة دارت بين الدَّهْرِيَّةِ وبين علماء المسلمين؛ ومن ذلك تلكم المناظرة التي دارت بين بعض زعماء السَّمْنِيَّةِ وبين الْجَهْم بْن صَفْوَانَ (٧٨ ـ ١٢٨ هـ/ ٦٩٦ ـ ٧٤٦م)، فسألوه: هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسة؟.. أي هل هناك موجود ومعلوم غير ما تدركه المشاعر والحواس الخمسة؟

فلما أجاب الْجَهْمُ بْن صَفْوَانَ: لا! قالوا له: فحدثنا عن معبودك الذي تعبده، أشيء وجدته في هذه المشاعر؟ ـ أي هل إلهك الذي تعبده، تدركه الحواس الخمسة؟.. فلما قال الْجَهْم: لا.. قالوا له: فإذا كان المعروف. أي المعلوم لا يخرج عن ذلك، وليس معبودك منها، فقد دخل في المجهول!.. أي أن إلهك، طالما لا تدركه الحواس، هو مجهول، غير معلوم.. فكيف تعبد إلها مجهولاً، يستحيل أن تعلمه وسائل الإدراك ـ المشاعر والحواس؟!

وعند ذلك انهزم الْجَهْم بْن صَفْوَانَ، في مناظرته مع السَّمْنِيَّةِ الدَّهْرِية. لكنه لجأ إلى زعيم الْمُعْتَزِلَةِ وَاصِل بن عَطَاءٍ [٨٠ ـــ ١٣١هـ / ٦٩٩ ـــ ٧٤٨م] يطلب إليه حل الإشكال الذي عجز عن حله.. فكتب إليه واصل بالجواب المنطقي والعقلاني، وطلب منه أن يعود إليهم ويسألهم: ألستم تؤمنون بوجود العقل وهو غير محسوس؟. وبالجنون وهو غير محسوس؟ وتسلمون بوجود(الحياة) وهي غير محسوسة؟.. وبالموت وهو غير محسوس؟ إذن فالمعلوم ليس فقط ما تدركه الحواس والمشاعر، وإنما يضاف إليه ما يدركه الدليل.

وبالعبارة التي كتبها وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ إلى الْجَهْمِ بْنَ صَفْوَانِ:" إن المعروف لا يخرج عن المشاعر الخمسة وعن الدليل.. فارجع إليهم ـ إلى السَّمْنِيَّةِ ـ الآن وقل لهم: هل تفرقون بين الحي والميت؟ وبين العاقل والمجنون؟ فإنهم يعترفون بذلك، وإنه يعرف بالدليل لا بغيره!(١٩) "فلما عاد الْجَهْمُ بْن صَفْوَان إلى السَّمْنِيَّةِ، وقال لهم ما أخبره به وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ .. قالوا له: ليس هذا من كلامك؟! فمن أين لك؟! قال: كَتَب به إليَّ رجل من العلماء بالبَصْرَةِ(٢٠)، يقال له وَاصِلُ بنُ عَطَاءٍ.. فخرج السَّمْنِيَّة إلى البصرة، والتقوا وَاصِل بن عَطَاءٍ .. وكلموه واعتنقوا الإسلام على يديه!

ومن المفارقات التاريخية حقًا أن يُتهم الْجَهْم بْن صَفْوَانَ بعد ذلك بأنه أحد أفراد الدَّهْرية، بل ويلقى حتفه بسبب هذه التهمة. قال صالح بن معاوية بن عبيد الله الأشعري:" قرأتُ في دواوين هِشَام بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إلى عامله بخُرَاسان نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ (٤٦ -١٣١ هـ / ٦٦٦ -٧٤٨م): "أما بعد، فقد نجم قِبَلَك رجل من الدَّهْرِيَّةِ من الزَّنَادِقَةِ، يقال له الْجَهْم بْن صَفْوَانَ. فإن ظفرت به فاقتله، وإلا فأدسس إليه الرجال غيلة ليقتلوه"[٢١]. ويضيف ابن الجوزي:" وأُسر يومئذ جَهْم بْن صَفْوَانَ وقُتِل"[٢٢]. بل إن جَهْمًا لم يسلم من هذه التهمة حتى بعد وفاته، فقال عنه الإمَامُ أبو حَنِيفَةَ:" قَاتل الله جَهْمَ بن صَفْوَان، وَمُقَاتِل بن سُلَيْمَان، هَذَا أفرط في النَّفْي، وَهَذَا أفرط في التَّشْبِيه"[٢٣]. بل صدر عن الإمام ما هو أعظم من ذلك، فقال: «جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ الْخُرَاسَانِيُّ كَافِرٌ[٢٤]». وقال الإمَامُ الذَّهَبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ/ ١٢٧٤ -١٣٤٨م) عنه: "الضالّ المبدع، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرًا عظيمًا"[٢٥].

صفوة القول، أن علماء المسلمين على الرغم من اختلافهم الفكري ـــــ فالْجَهْمُ بْن صَفْوَانَ زعيم فرقة الْجَهْمِيَّة، وواصِلُ بْنُ عَطَاءٍ مؤسس فرقة الْمُعْتَزِلَة ـــــ قد تضافرت جهودهم في الدفاع عن الشبهات التي أثيرت حول الإسلام. فلا يجد الْجَهْم في نفسه غضاضة أن يكتب إلى زعيم فرقة أخرى يختلف معه في الرأي، بل لا يستحي أن يعترف لمَن ناظره من الدَّهْرِيِّين بأن هذا ليس كلامه ولا هذه أفكاره، بل حديث شخص آخر، ثم ما لبث أن دلهم عليه، فكان إسلامهم هو الثمرة المرجوة من وراء هذه المناظرات والمكاتبات.

ثالثًا: نَمَاذِجُ مِن مُنَاظَرَاتِ الإمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مَعَ الدَّهْرِيَّةِ

خاض العلماء غمار هذه الحركة في الرد على الدَّهْرِيَّة وغيرهم، فأَبُو حَنِيفَةَ (٨٠ -١٥٠هـ/ ٦٩٩ -٧٦٧م) يجادل الدَّهْرِيَّة ويوجههم إلى ضرورة الإيمان بمنشئ هذا العالم. ومن الجدير بالذكر، أن الإمام قد عاش في أواخر عصر الدولة الأموية، وأوائل عصر الدولة العباسية؛ وهو الوقت الذي بدأت فيه الزَّنْدَقَةُ تطل برأسها في أرجاء العالم الإسلامي، لأسباب كثيرة سبقت الإشارة إليها؛ لذا فقد استخدم الإمَامُ أبو حَنِيفَةَ أسلوبهم في الحوار والمناقشة، حيث كان يستعمل معهم سلاح العقل والإقناع بالحجة والبرهان، وقد نجح في ذلك نجاحًا باهرًا.

وقد حفظت لنا مصادرنا الإسلامية كثيرًا من هذه المناظرات، والتي كانت تنتهي ـــ غالبًا ـــ بفوز الإمام، وإسلام كثير ممن حاوروه. ولا بأس أن أسوق بعض الأمثلة على ذلك:

جادله بعض الدَّهْرِيين يومًا، فقال لهم:" ما تقولون في رجل يقول لكم: إني رأيت سفينة مشحونة، مملوءة بالأمتعة والأحمال، قد احتوشتها[٢٦] في لجة البحر أمواج متلاطمة، ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس فيها ملاح يجريها ويقودها، ولا متعهد يدفعها ويسوقها، هل يجوز ذلك في العقل؟ فقالوا: لا. هذا شيء لا يقبله العقل، ولا يجيزه الوهم. فقال أَبُو حَنِيفَةَ – رَحْمَهِ اللَّهِ -: فيا سبحان الله، إذا لم يجز في العقل وجود سفينة مستوية من غير متعهد ولا مُجرٍ، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها. وتغير أمورها وأعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ ومحدث لها؟![٢٧]". وَيُحْكَى ـ أيضًا ـ عَنْ الإمام أَبِي حَنِيفَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ-:"أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ (الفلاسفة) أَرَادُوا الْبَحْثَ مَعَهُ فِي تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ. فَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَنْ سَفِينَةٍ فِي دِجْلَةَ، تَذْهَبُ، فَتَمْتَلِئُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْمَتَاعِ وَغَيْرِهِ بِنَفْسِهَا، وَتَعُودُ بِنَفْسِهَا، فَتَرْسُو بِنَفْسِهَا، وَتُفْرِغُ وَتَرْجِعُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُدَبِّرَهَا أَحَدٌ؟! فَقَالُوا: هَذَا مُحَالٌ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا! فَقَالَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ هَذَا مُحَالًا فِي سَفِينَةٍ، فَكَيْفَ فِي هَذَا الْعَالَمِ كُلِّهِ عُلْوِهِ وَسُفْلِهِ!![٢٨]". فأخذوا بالحجة ولزمهم البرهان وثابوا إلى رشدهم وآمنوا بربهم وصدقوا بالبعث.

وجاء في مخطوط" رسالة في مجادلة أَبِي حَنِيفَةَ لأحد الدَّهْرِيِّين[٢٩] "ما نصه:" حُكِيَ أن دهْرِيًا جاء في زمن حَمَّاد ـــ أستاذ أَبِي حَنِيفَةَ رَحْمَةَ اللَّهِ عليه ـــ، وألزم جميع العلماء. قال الدَّهْرِيُ للخليفة وقومه: أبقي أحدٌ من علمائكم؟ قالوا: بقي حَمَّاد. فقال: فلتحضروه يتكلم معي. فدعاه الخليفة للتكلم معه. فقال – رَحِمَهِ اللَّهِ-: أمهلوني هذه الليلة. فلما أصبح غدا، أَبُو حَنِيفَةَ-رَحِمَهِ اللَّهِ- وهو صغير. وكان يتكلم معه، ودخل على حَمَّاد وسلم عليه فرد السلام، ورآه أَبُو حَنِيفَةَ -رَحِمَهِ اللَّهِ- مغمومًا. فقال له في ذلك. فقال: كيف لا غَمَّ، وقد دُعِيتُ إلى التكلم مع الدَّهْرِي، وأنه ألزم العلماء. وقد رأيتُ البارحة في المنام رؤيا منكرة. فسأله عن الرؤيا. قال: رأيت في المنام دارًا مُزَينةً، ورأيتُ خنزيرًا، وأكل الثمرة والشجرة. فبقي أصل تلك الشجرة. فبينا ذلك إذ خرج من أصل تلك الشجرة أسد فقتل الخنزير وأهلكه[٣٠].

قال أَبُو حَنِيفَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّهِ ـ علمني ببركة خدمتك علم الدين والتعبير، فهذه الرؤيا خير لنا وشر لأعدائنا. أأجزت لي فأعبرها. فقال حَمَّاد: عبر يا نعْمَان. قال أَبُو حَنِيفَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ الدار الواسعة المبنية؛ الإسلام. والشجرة المثمرة؛ العلماء. والأصل الباقي من تلك الشجرة؛ فأنت. والخنزير؛ الدَّهْرِي. والأسد يهلكه؛ أنا. فاذهب وأنا معك، فببركة حضرتك وهمتك أكلمه وألزمه وأهلكه.

ففرح حَمَّادُ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ فقاما وذهبا إلى الجامع، ودعا الخليفة، واجتمع الناس. فجلس حَمَّاد ووضع ظهره في المحراب. ووقف أَبُو حَنِيفَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ بحذائه قائمًا بجنب سريره، رافعًا لشأن[٣١] أستاذه. فحضر الدَّهْرِيُ وجلس على المنبر، وقال: مَن المجيب بسؤالي. قال أَبُو حَنِيفَةَ ـ رَحِمَهُ اللَّه ـ فما هذا القول، سل أنت فمَن علم أجابك. قال الدَّهْرِيُ: مَن أنت؟ صبيٌ تتكلم معي!! فكم من ذوي السن الكبيرة، والعمامة العظيمة، وأصحاب الثياب الفاخرة، والأكمام الواسعة، قد عجزوا مني. فكيف تتكلم معي، مع صغر سنك؟

قال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه ـ ما وضع العز والرفعة للعمامة العظيمة، والثياب الفاخرة. ولكن وضعها للعلماء. كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣٢] الآية. قال الدَّهْرِيُ: هل أنت تجيب لسؤالي؟ قال: نعم، أجيبك بتوفيق الله تعالى وإعانته. فبدأ الدَّهْرِيُ، وقال: آلله موجود؟ قال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه ـ: نعم. قال الدَّهْرِيُ: أين هو؟!!

قال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّهِ ـ: لا مكان له. قال الدَّهْرِيُ: وكيف يوجه مَن لا مكان له؟!! قال: لهذا دليل في بدنك. هل في جسمك روح؟ قال: نعم. قال: أين روحك؟ هل في رأسك؟! أم في بطنك؟! أم في يدك؟! أم في رجلك؟! فتحير الدَّهْرِيُ. وأمر أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه تعالى- بأن يؤتى له لَبَنٌ، فأوتي به. قال أَبُو حَنِيفَةَ: هل في اللبن سمن؟ قال الدَّهْرِيُ: نعم. قال: أين سمنه؟ في أعلاه؟! أم في أسفله؟! أم في وسطه؟! فتحير الدَّهْرِيُ. فقال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه تعالى ـ فلما لم يوجد للروح مكان، ولا للسمن في اللبن مكان. فكذلك لا يوجد لله تعالى في الكون مكان.

قال الدَّهْرِيُ: ما كان قَبل الله تعالى؟! وما كان بَعده؟! قال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّهِ ـ: لهذا دليل أيضًا في بدنك. إن في يدك ورجلك أصابع، فما قَبل إبهامك[٣٣]؟ وما بَعد خنصرك[٣٤]؟ قال الدَّهْرِيُ: لا شيء قبل إبهامي، ولا شيء بعد خنصري. قال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه تعالى ــ: فكذلك لا شيء قبله ولا بعده.

قال الدَّهْرِيُ: بقيت مسألة[٣٥] واحدة. قال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه ـ: سَل[٣٦]. قال الدَّهْرِيُ: الله تعالى في هذه الساعة في أي شأن؟ قال أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه ــ: إنك تمسكت الأمر. كان ينبغي أن يكون السائل تحت المنبر، والمجيب فوقه. فأجيب لسؤالك تحت المنبر. فلا أجيبك حتى تنزل، وأنا أصعد المنبر. نزل الدَّهْرِيُ، وصعد أَبُو حَنِيفَةَ ــ رَحِمَهُ اللَّه ـ، فقال: إن الله تعالى في هذه الساعة شأنه: إهباط مثلك من الأعلى إلى الأسفل، وإصعاد ــ بحق ــ مثلي من الأسفل إلى الأعلى. هذه الحالة، حالة صغره. فكيف يكون حاله في كبره ؟!!".

التحليل التاريخي لهذه الرواية:

تبدأ الرواية بقوله:" حُكِي"، مما يُلقي بظلال من الشك حولها، وخاصةً أن الراوي لم يذكر لنا سلسلة الإسناد التي استقى منها مادته العلمية. ومن المعروف أن الإسناد كان مستعملًا في زمن الإمَام أَبِي حَنِيْفَةَ. لذا يبدو لي أن كاتب هذا المخطوط هو أحد متأخري المذهب الحنفي، والذي حاول أن يرفع من قدر الإمَام أَبِي حَنِيْفَةَ، ولو على حساب شيخه الإمَام حَمَّاد. ثم تقول الرواية:" إن دهْرِيًا جاء في زمن حَمَّاد، أستاذ أَبِي حَنِيْفَةَ ـ رَحمَةَ اللَّه عليه ــ"، فلم يصرح بمَن هو حَمَّاد. وبالرجوع إلى قائمة شيوخ الإمَام أَبِي حَنِيْفَةَ يتضح لنا أن المقصود بحَمَّاد، هو الإمام حَمَّادُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ الكُوْفِيُّ. ثم تُظهر الرواية أن حَمَّادًا ــ وهو أحد علماء زمانه ــ قد لزمه الهم والغم حيث لم يستطع أن يجاري هذا الدَّهْرِي في مناظرته، فضلًا في أن يرد عليه.

وبالرجوع إلى مصادرنا التاريخية نجدها تؤكد لنا أن الإمَامَ حَمَّاد بن أَبِي سُلَيْمَانَ كان فقيهًا مناظرًا، بل هو ـ بنص كلام الإمام الذهبي ـ:"أَنْبَلُ أَصْحَابِ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَهُوَ أَفْقَهُهُم، وَأَقْيَسُهُم، وَأَبْصَرُهُم بِالْمُنَاظَرَةِ وَالرَّأْيِ"[٣٧]. إذًا، كان الرجل يجيد المناظرة، فكيف يعجز في أن يرد على دَّهْرِي كهذا؟!! ثم تقول الراوية:" قال الدَّهْرِيُ للخليفة وقومه"، ولم تصرح لنا مَن هو هذا الخليفة؟! كي نقف على سن الإمَام أَبِي حَنِيْفَةَ حينذاك. ويبدو لي أن الخليفة المقصود في هذه القصة هو الخليفة الأموي؛ هشام بن عبد الملك، والذي حكم في الفترة من [١٠٥ ــ ١٢٥هـ/ ٧٢٤ ــ ٧٤٣م]، وأن هذه المناظرة كانت في نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، أو على أقصى تقدير في بدايات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وذلك لعدة أسباب:

أولًا: أن الإمَامَ حَمَّاد بن أَبِي سُلَيْمَانَ قد توفي في عام [١٢٠هـ/ ٧٣٧م]، فلابد أن تكون المناظرة قد جرت قبل وفاة هذا الإمَام، وهي نفس الفترة التي حكم فيها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك.

ثانيًا: أن الرواية صرحت بأن الإمَامِ أَبا حَنِيْفَةَ كان صغيرًا، فإذا تذكرنا أن الإمام قد ولد في سنة [٨٠هـ/ ٦٩٩م]، فمعنى ذلك أن الإمَامَ كان في نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، ابن عشرين عامًا على الأقل، ولا يمكن أن يكون أكبر من ذلك. لأن شيخه الإمَام حَمَّاد بن أَبِي سُلَيْمَانَ، قد توفي سنة [١٢٠هـ/ ٧٣٧م] ـ كما سبقت الإشارة منذ قليل ـ وعلى ذلك، فإن عمر الإمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ عند وفاة شيخه حَمَّاد كان ابن أربعين عامًا. أفيقال لابن الأربعين صغيرًا؟!!

كل هذه الأسباب تجعلنا نُرَجح أن هذه المناظرة كانت في أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي على أقل تقدير. أو في أوائل القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على أقصى تقدير. وهكذا، يتضح لنا أن هذه الرسالة لم تُكتب في زمن الإمام أبي حنيفة، وأنها ــ ربما ــ كُتبت بعد هذا الزمان بكثير جدًا، وأن الغرض منها هو ترغيب الناس في الفقه الحنفي، ورفع قدر مؤسس هذا المذهب. ومع كل ما سبق، فإننا أمام نص فريد يدل على مدى عبقرية الإمام أبي حنيفة. فعلى الرغم من صغر سنه، إلا انه أستطاع أن يُقيم الحُجة على الدَّهْرِي. والذي يبدو من سياق المناقشة، أنه قد أفحم كثيرًا من علماء المسلمين. وأن إسلامه ــ ربما ـ كان على يد الإمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ.

هذا قليل من كثير من مناظرات الإمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ مع الدَّهْرِيين. ويتضح لنا ــ في النهاية ــ أن الإمام كان يناظرُ الْكُفَّارَ والمرتَدِّينَ وَالزَّنَادِقَةَ والمُلْحِدِيْنَ الذين خرجوا عن هذه العقيدة، واتخذوا لهم مناهج ضالة حاربوا فيها هذا المعتقد الصحيح. وأن هذه المناظرات كانت تنتهي ــ غالبًا ــ بإقناع هؤلاء الناس وعودتهم إلى التوحيد. فهلا تعلمنا من علمائنا كيف تكون الدعوة إلى الله تعالى من خلال المناظرة؟!

خَاتِمَةٌ

هذه خاتمة أحاول أن أبلور فيها أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث، وهي:

أولًا: أثبت البحث أن الدَّهْرِيَّةَ هي اعتقاد فكري ظهر في فترة ما قبل الإسلام. وهي فرقة لا تؤمن بالله تعالى ولا تعرف إلا الدَّهْرَ، وهم يقولون: بنكران البعث والآخرة، والخالق والرسل، وينسبون كل شيء إلى فعل الدَّهْرِ. وتعتبر الدَّهْرِيَّةُ أن المادّة لا فناء لها، ويُعدُ هذا الاعتقاد قريبًا من اعتقاد اللا دينيّة والإلْحَادِ والمَادِيّة.

ثانيًا: أثبت البحث أن أسباب ظهور وانتشار الدَّهْرِيَّة في الفترة الممتدة من أواخر عصر الدولة الأموية وأوائل عصر الدولة العباسية ترجع إلى عدة عوامل، منها: اطِّلاع علماء المسلمين على أفكار الديانات الأخرى من خلال انتشار حركة الترجمة في العصر العباسي، لذا فقد استخدموا في حوارهم مع الآخر سلاح المنطق والتفكير والحجج العقلية. يضاف إلى ذلك، أن بعض الفرس رأوا أن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يُحَقق مطالبهم في عودة الخلافة الفارسية مرة ثانية. وعلموا أن ذلك لا يتحقق والإسلام ظاهر على الديانات الأخرى، فأخذوا يعملون على نشر أفكارهم الهدامة خفية بين الناس.

ثالثًا: أثبت البحث أن جهود علماء المسلمين في حوارهم مع الدَّهْرِيَّة لم يقتصر على صِنف واحد من العلماء بل شارك فيه كثير منهم على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم، فنجد الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَان زعيم فرقة الْجَهْمِيَّة يستعين في حواره مع الدَّهْرِيَّة بوَاصِل بن عَطَاءٍ مؤسس فرقة الْمُعْتَزِلَة، والذي نجح في حواره العقلي معهم حتى أعلنوا إسلامهم.

رابعًا: عالج البحث بالتفصيل دور الإمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، في دعوة الدَّهْرِيَّة إلى الإسلام، فقد كان يستعمل معهم سلاح العقل والإقناع بالحجة والبرهان، مع أنه كان قادرًا على استخدام الأدلة النقلية في حواره، وكيف لا وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُنَّة، وصاحب المذهب الفقهي المشهور.

خامسًا: من التوصيات المهمة للبحث، أنه نظرًا لارتفاع نسبة المُلْحِدِيْنَ في العالم والذين قُدِرت أعدادهم بحوالي ١,١ مليار نسمة (١٦,٣%). ــ وفقًا لإحصائية (Pew Research center) معهد بيو بمدينة واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية لعام ٢٠١٠م ــ لذا، فإننا نحن المسلمين في حاجة ماسة لإعادة النظر فيما نُجريه من حوار ومناقشة مع الآخر. مستخدمين معه الأدلة النقلية والعقلية في هدوء وطول بال. كي نصل في النهاية إلى ما نرجوه، وهو إنقاذ الناس من شرك الضلال والغواية إلى سُبل الرشاد والهداية.

الملاحق

صورة (١)

من مخطوط: "رسالة في مجادلة أبي حنيفة لأحد الدهريين"،

لمؤلف مجهول

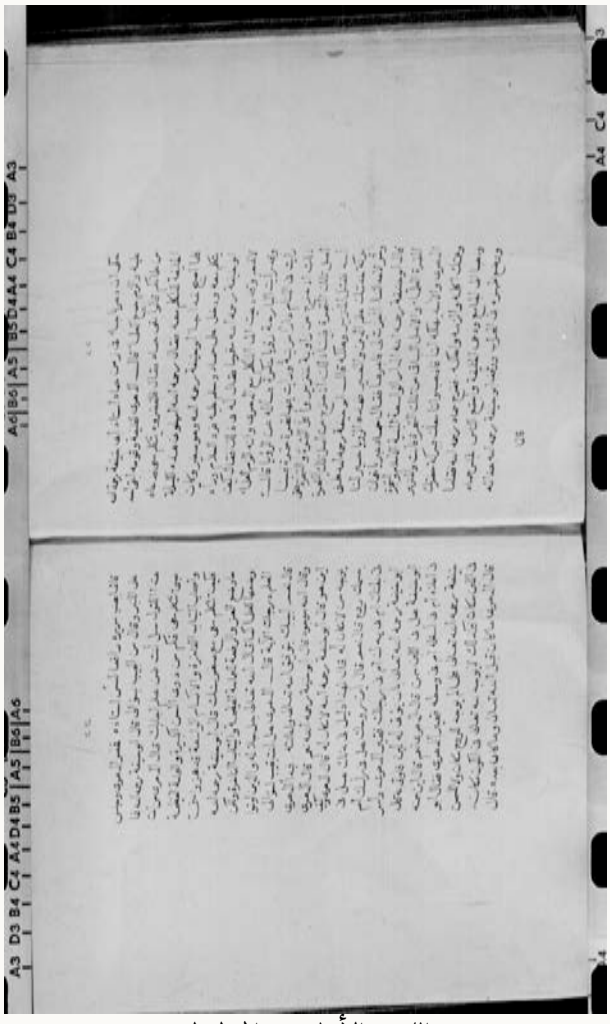

اللوحة الأولى من المخطوط

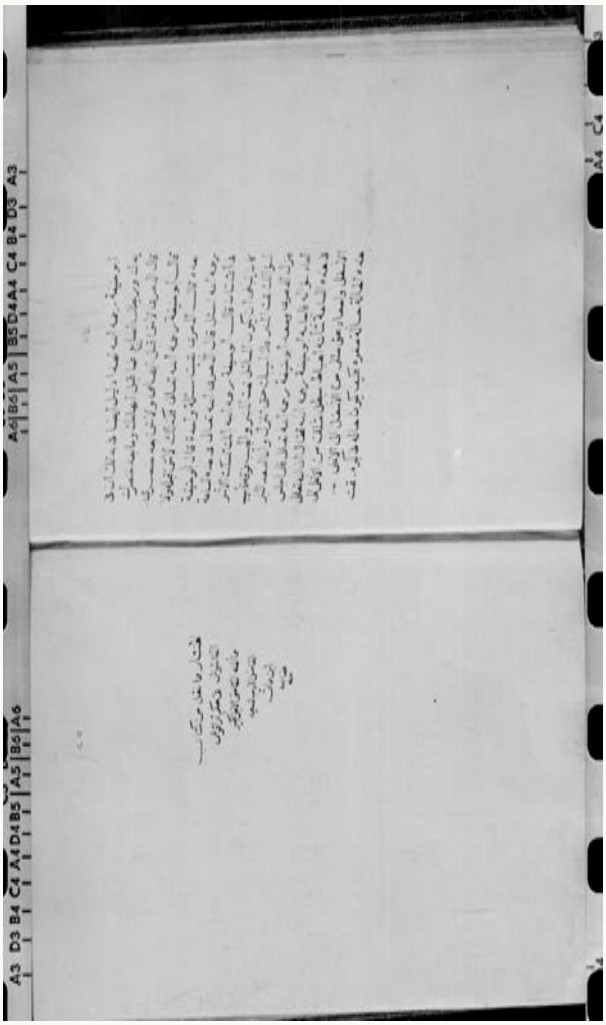

اللوحة الثانية من المخطوط

الهَوامِشُ:

(١) الدَّهْرُ: الزَّمَانُ، وَجَمْعُهُ (دُهُورٌ) و(الدُّهْرِيُّ) بِالضَّمِّ: هُوَ الرَّجُل المُسِنُّ الَّذِي أَتَت عَلَيْهِ الدُّهور وَطَالَ عمره. وَبِالْفَتْحِ: هُوَ الرجل الَّذِي يَقُول: الْعَالم مَوْجُود أزلًا وأبدًا لَا صانع لَهُ. قَالَ ثَعْلَب: كِلَاهُمَا مَنْسُوبٌ إِلَى الدَّهْرِ. الرازي: (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، المتوفى في عام:٦٦٠ هـ/١٢٦٢م): **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر، الطبعة: الأولى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ١٠٨، ابن سيده: (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المتوفى في عام: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م): **المخصص**، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة: الأولى، جـ٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص١٦١، والمقصود به هنا: الرَّجُل الْمُلْحِدُ الذي ينكر اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب، ويَقُول بِبَقَاء الدَّهْرِ. الكفوي: (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، المتوفى في عام: ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م): **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، وآخر، الطبعة: الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، (بدون ــ تاريخ)، ص٤٤٦، مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، الطبعة: الأولى، جـ١، القاهرة، دار الدعوة، (بدون ـ تاريخ)، ص٢٩٩.

(٢) الخوارزمي: (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، المتوفى في عام: ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م): **مفاتيح العلوم**، تحقيق: فان فلوتن، الطبعة: الأولى، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٤م، ص٥٥.

(٣) العيني: (محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفي، المتوفى في عام: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): **مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار**، تحقيق: محمد حسن محمد، الطبعة: الأولى، جـ٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦م، ص ٤٠٦.

(٤) جواد علي: (دكتور): **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، الطبعة: الرابعة، جـ١١، بيروت، دار الساقي، ٢٠٠١م، ص ١٤٦.

(٥) الغزالي: (أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المتوفى في عام: ٥٠٥هـ/ ١١١١م): **تهافت الفلاسفة**، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، الطبعة: السادسة، دار المعارف، القاهرة، (بدون ــ تاريخ)، ص ١٥٥.

(٦) **الهند**: هي بلاد واسعة كثيرة العجائب. وهي أكثر أرض الله جبالاً وأنهارًا، وقد اختصت بكريم النبات وعجيب الحيوان، ويحمل منها كل طرفة إلى سائر البلاد مع أن التجار لا يصلون إلا إلى أوائلها. والهند والسند كانا أخوين من ولد توقير بن يقطن بن حام بن نوح، وهم أهل ملل مختلفة: منهم مَن يقول بالخالق دون النبي، وهم البراهمة، ومنهم مَن لا يقول بهما، ومنهم مَن يعبد الصنم، ومنهم مَن يعبد القمر، ومنهم مَن يعبد النار. البيروني: (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي، المتوفى في عام: ٤٤٠هـ/١٠٤٨م): **تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة**، الطبعة: الثانية، بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢م، ص: ١٧ وما بعدها، الإدريسي: (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، المتوفى في عام: ٥٦٢هـ/١١٦٧م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، الطبعة: الأولى، جـ١، القاهرة، دار الثقافة الدينية، (بدون ــ تاريخ)، ص٨٥، القزويني: (زكريا بن محمد بن محمود، المتوفى في عام: ٦٨٢هـ/١٢٨٣م): **آثار البلاد وأخبار العباد**، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٣م، ص ١٢٧.

(٧) د. محمد عمارة: "**الدَّهْرِيَّة**"، مقال في جريدة الأهرام المصرية، العدد(٤٤٦٨١)، السنة ١٣٣، الاثنين ١٠ من ربيع الآخر ١٤٣٠هـ/ ٦ إبريل ٢٠٠٩م.

(٨) **صحيح البخاري**: (٦/ ١٣٣) حديث رقم:(٤٨٢٦)، **صحيح مسلم**:(٤/ ١٧٦٢) حديث رقم:(٢٢٤٦)، سنن أبي داود:(٤/ ٣٦٩) حديث رقم:(٥٢٧٤).

(٩) **مسند الإمام أحمد**:(١٥/ ٧٠) حديث رقم:(٩١٣٧).

(١٠) **صحيح مسلم**: (٤/ ١٧٦٢) حديث رقم:(٢٢٤٦)، **مسند الإمام أحمد**:(١٣/ ١١١) حديث رقم:(٧٦٨٣).

(١١) ابن عبد البر: (يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، المتوفى في عام: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م): **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، وآخر، الطبعة: الأولى، جـ ١٨، المغرب، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٧م، ص ١٥٥.

(١٢) الشهرستاني: (أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر بن أحمد، المتوفى في عام: ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م): **الملل والنحل**، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، الطبعة: الأولى، جـ٢، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٨م، ص ٦٢.

(١٣) محمد إبراهيم الفيومي: (دكتور): **تاريخ الفكر الديني الجاهلي**، الطبعة: الرابعة، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص ٤٧٦.

(١٤) ابن الجوزي: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المتوفى في عام:٥٩٧هـ / ١٢٠٠م): **تلبيس إبليس**، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الفكر،١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠١م، ص٤٠.

(١٥) الرازي: مختار الصحاح، ص ١٣٨، ابن منظور: (محمد بن مكرم بن منظور المصري، المتوفى في عام: ٧١١هـ/١٣١١م): **لسان العرب**، الطبعة: الأولى، جـ١٠، بيروت، دار صادر، (بدون ــ تاريخ)، ص ١٤٧، مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، جـ١، ص٤٠٣.

(١٦) **الكُوفَةُ**: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، سميت الكوفة لاستدارتها أو لاجتماع الناس بها. وقيل: سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد، وقيل غير ذلك. وقد مصرّت في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، في السنة التي مصرّت فيها البصرة وهي سنة ١٧ هـ، وقيل: إنها مصرّت بعد البصرة بعامين في سنة ١٩ هـ. ياقوت الحموي:(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، المتوفى في عام: ٦٢٦هـــ / ١٢٢٩م): **معجم البلدان**، الطبعة: الأولى، جـ٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧ م، ص ٤٩٠ ــ ٤٩١.

(١٧) د. جواد علي: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جـ ١١، ص ١٤٨.

(١٨) أحمد أمين: (دكتور): **ضحى الإسلام**، الطبعة: الأولى، جـ١، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص ١٥٥، عبد الرحمن بدوي (دكتور): **من تاريخ الإلحاد في الإسلام**، الطبعة: الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠م، ص ٧ ــ ٢٧ وما بعدها.

(١٩) الهمذاني: (عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار المعتزلي، المتوفى في عام: ٤١٥هـ/١٠٢٤م): **المنية والأمل**، تحقيق: الدكتور سامي النشار، وآخر، الطبعة: الأولى، جـ١، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢ م، ص ٣٧، المرتضى: (أحمد بن يحيى بن المهدي لدين الله، المتوفى في عام: ٨٤٠ هـ/ ١٤٣٦م): طبقات المعتزلة، تحقيق: سُوسَنّة دِيفَلْد - فِلْزَر، الطبعة: الأولى، جـ١، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، ص ٣٤.

(٢٠) **البَصْرَةُ**: في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدوابّ، قال: ويقال بصرة للأرض الغليظة، وقال غيره: البصرة حجارة رخوة فيها بياض، وقال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب، قال: وإنما سميت بصرة لغلظها وشدّتها. وهي إحدى مدن العراق حاليًا. قال الشعبي: مصرت البصرة قبل الكوفة بسنة ونصف. وهي مدينة على قرب البحر كثيرة النخيل والأشجار، سبخة التربة ملحة الماء. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، جـ١، ص ٤٣٠، القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**: ص ٣٠٩.

(٢١) الطبري: (أبو جعفر بن محمد بن جرير، المتوفى في عام:٣١٠هـ /٦٢٢م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الثالثة، جـ٧، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣م، ص ٣٣٥، ابن عساكر: (علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، المتوفى في عام: ٥٧١هـ /١١٧٦م): **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: علي شيري، الطبعة: الأولى، جـ٥٣، بيروت، دار الفكر، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، ص ٢٧٢.

(٢٢) ابن الجوزي: (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المتوفى في عام:٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م): **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وآخر، الطبعة: الأولى، جـ٧، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص ٢٦٦.

(٢٣) القرشي: (محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن محمد، المتوفى في عام: ٧٧٥هـ /١٣٧٣م): **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة: الثانية، جـ١، القاهرة، دار هجر، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، ص ٣١.

(٢٤) الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى في عام: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م): **مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه**، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، وآخر، الطبعة: الثالثة، حيدر آباد الدكن بالهند، لجنة إحياء المعارف النعمانية، ١٤٠٨ هـ ـــ ١٩٨٧م، ص ٤٤.

(٢٥) الذهبي: (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى في عام: ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م): **سير أعلام النبلاء**، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الطبعة: الثالثة، جـ٦، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ص ٢٦.

(٢٦) يقال: احْتَوَشَ الْقَوْمُ الصَّيْدَ إِذَا أَنْفَرَهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. وَاحْتَوَشَ الْقَوْمُ عَلَى فُلَانٍ جَعَلُوهُ وَسَطَهُمْ. الرازي: **مختار الصحاح**، ص ٨٤، ابن سيده: المخصص، جـ١، ص ٣٣٠.

(٢٧) المكي: مناقب أبي حنيفة، ص ١٧٨.

(٢٨) ابن أبي العز الحنفي: (صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الدمشقي، المتوفى في عام: ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م): **شرح العقيدة الطحاوية**، تحقيق: أحمد شاكر، الطبعة: الأولى، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م، ص ٣٥.

(٢٩) الرسالة لمؤلف مجهول: وهي مخطوط يوجد في دار المخطوطات المصرية، تحت رقم (٢٩٠) مجاميع تيمور عربي، ميكروفيلم رقم: (١٥٥١٩)، **تاريخ النسخ**/ لا يوجد، المقاس: ٢٥,٥ ×١٧,٣، عدد الأسطر: ٢٥، عدد الأورق: ٣. والرسالة ضمن مجموعة متنوعة من الرسائل المختلفة، أغلبها في المسائل الشرعية. وقد كُتبت بخط الرقعة، وقد وقع التصحيف في بعض كلماتها. ومما يؤسف له، أنّي ــ بعد طول بحث ـــ لم أعثر على نسخة أخرى لهذا المخطوط، فأقابلها عليه وأعقد المقارنة بينهما. ومع ذلك فقد قررتُ نشر هذا المخطوط لتعم بها الفائدة.

(٣٠) جاء في الأصل: (هلكه)، ولعل الصواب ما ذكرته.

(٣١) جاء في الأصل: (لشن)، ولعل الصواب ما ذكرته.

(٣٢) الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة المجادلة: آية ١١].

(٣٣) **الإِبْهَامُ**: الإصبع الغليظة الخامسة من أصابع اليد والرِّجل، وهي ذات سُلامَيين (مؤنّثة وقد تذكّر)، وَجَمْعُهَا (أَبَاهِيمُ). الرازي: **مختار الصحاح**، ص٤١، مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، جـ١، ص ٧٤، أحمد مختار عبد الحميد عمر: (دكتور): **معجم اللغة العربية المعاصرة**، الطبعة: الأولى، جـ١، بيروت، عالم الكتب،١٤٢٩ هـ -٢٠٠٨ م، ص٢٥٧.

(٣٤) **الْخِنْصِرُ**: الْإِصْبَعُ الصُّغْرَى، وَالْجَمْعُ (الْخَنَاصِرُ). الرازي: نفس المصدر، ص ٩١، مجمع اللغة العربية: نفس المرجع، جـ١، ص ٢٥٩، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر: نفس المرجع، جـ١، ص ٧٠٢.

(٣٥) جاء في الأصل:(مسئلة)، ولعل الصواب ما ذكرته.

(٣٦) جاء في الأصل:(أسئل)، ولعل الصواب ما ذكرته.

(٣٧) **سير أعلام النبلاء**، جـ٥، ص ٢٣١.